



26792 - النار لا تفني ولا يفني أهلها

السؤال

توعد الله الكفار والملحدين بالنار (لابثين فيها أحقابا) فهل عذابهم في النار مستمر أبداً ، إن كان كذلك فهل هذا يتعارض مع عدل الله ورحمته ؟ أم أن عذابهم يستمر لإحراق الله يعلمها ، إن كان كذلك فما مصيرهم بعد ذلك ؟ ولم يرد ذكر ذلك في القرآن أو السنة ؟.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

الذي عليه أهل السنة والجماعة أن النار لا تفني ولا تبيد ، ولا يخرج منها إلا عصاة الموحدين ، أما الكفرة والملحدون فهم فيها خالدون .

قال الإمام ابن حزم في كتابه " مراتب الإجماع " : (وأن النار حق ، وأنها دار عذاب لا تفني ، ولا يفني أهلها بلا نهاية).

وقال في كتابه " الفصل في الملل والأهواء والنحل " : (اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها ، ولا للنار ولا لعذابها ، إلا الجهم بن صفوان وأبا الهذيل العلاف وقوما من الروافض ، فأماما جهم فقال : إن الجنة والنار يفينيان وييفني أهلهما ، وقال أبو الهذيل : إن الجنة والنار لا يفينيان ، ولا يفني أهلهما ، إلا أن حركاتهم تفني ، ويبقون بمنزلة الجماد لا يتحركون وهم في ذلك أحيا متلذذون أو معذبون).

وقالت تلك الطائفة من الروافض : إن أهل الجنة يخرجون من الجنة ، وكذلك أهل النار من النار إلى حيث شاء الله) [الفصل 4/145 ط. دار الجليل].

وقال الطحاوي في عقيدته : (والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان ولا تبيدان).

وقد تضافرت أدلة الكتاب والسنّة على تقرير هذا المعتقد ، فمن ذلك قوله تعالى : (ولهم عذاب مقيم) المائدة/37 ، وقوله : (لا يُفَرِّغُ عنهم وهم فيه مبلسون) الزخرف/75 ، وقوله : (خالدين فيها أبدا) البينة/8 ، وقوله : (وما هم منها بمخرجين) الحجر/48 ، وقوله : (وما هم بخارجين من النار) البقرة/167 ، وقوله : (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) الأعراف/40 ، وقوله : (لا يقضى عليهم فيموتونا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور) فاطر/36 .



ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم : (ي جاء بالموت يوم القيمة كأنه كبس أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت .

قال : ويقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت .

فيؤمر به فينببح ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويأله أهل النار خلود فلا موت . ثمقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر لهم في غفلة وهم لا يؤمنون) " . رواه مسلم (5087) من حديث أبي سعيد الخدري .

فهذا النص الصحيح الصريح لا يدع مجالا للشك في هذه الحقيقة ، وهي أن أهل النار خالدون فيها لا يموتون ولا يخرجون ، كما أن أهل الجنة في الجنة خالدون .

قال شارح الطحاوية : (وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله . وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار ، وأن هذا حكم مختص بهم ، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان) انتهى من شرح الطحاوية ص 430 ط. المكتب الإسلامي .

وأما قوله تعالى عن أهل النار : (لابثين فيها أحقابا لا يذوقون بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا) النبأ/23-25 ، فالمراد كما قال القرطبي رحمه الله (أي ما كثين في النار ما دامت الأحacas ، وهي لا تنتهي ، فكلما مضى حُقب جاء حُقب ، والحقب بضمتين : الدهر ، والأحacas : الدهور ، والحقبة ، بالكسر : السنة ، والجمع حِقب ... والحُقب بالضم والسكون : ثمانون سنة ، وقيل أكثر من ذلك على ما يأتي ، والجمع : أحacas . والمعنى في الآية : لابثين فيها أحacas الآخرة التي لا نهاية لها ؛ فحذف الآخرة لدلالة الكلام عليه ؛ إذ في الكلام ذكر الآخرة ، وهو كما يقال : أيام الآخرة ، أي أيام بعد أيام إلى غير نهاية ، وإنما كان يدل على التوقيت لو قال : خمسة أحacas أو عشرة أحacas ونحوه . وذكر الأحacas لأن الحُقب كان أبعد شيء عندهم ، فتكلم بما تذهب إليه أوهامهم ويعرفونها ، وهي كناية عن التأبيد ، أي يمكثون فيها أبدا . وقيل: ذكر الأحacas دون الأيام لأن الأحacas أهول في القلوب وأدل على الخلود ، والمعنى متقارب .

وهذا الخلود في حق المشركين ، ويمكن حمل الآية على العصاة الذي يخرجون من النار بعد أحacas .

وقيل : الأحacas وقت لشربهم الحميما والغساق ، فإذا انقضت فيكون لهم نوع آخر من العقاب ، ولهذا قال (لابثين فيها أحقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا) . انتهى من تفسير القرطبي رحمه الله .

وأما قوله تعالى : (فأما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق . خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) هود/106، 107، فقد ذكر القرطبي رحمه الله في تفسيرها أحد عشر قولًا كلها تدل على خلود الكفار في النار وتأبידهم فيها ، ومن هذه الأقوال : (أن الاستثناء إنما هو للعصاة من المؤمنين في إخراجهم بعد مدة من النار ، وعلى هذا يكون قوله (فأما الذين شقوا) عاما في الكفرة والعصاة ، ويكون الاستثناء من (خالدين) ، وفي الصحيح من حديث أنس بن



مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يدخل ناس جهنم حتى إذا صاروا كالحُممة أخرجوا منها ودخلوا الجنة فيقال هؤلاء الجنميون ") . رواه البخاري (6896)

ومنها : (أن "إلا" بمعنى "سوى" كما تقول في الكلام : ما معي رجل إلا زيد ،ولي عليك إلا ألف التي لي عليك فالمعنى : ما دامت السموات والأرض سوى ما شاء ربك من الخلود) وقد تركنا ذكر بقية الأوجه اختصارا فراجعتها فإنه نافعه جدا.

وبهذا يعلم أن ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع من خلود النار وأهلها ، لم يعارضه نص صحيح صريح من كتاب الله ولا من سنة رسوله ، ولا من آثار الصحابة والتابعين .

وبهذا يتم الجواب عن قوله : ألم أن عذابهم يستمر لأحقاب الله يعلمها ، إن كان كذلك فما مصيرهم بعد ذلك ؟ ولم يرد ذكر ذلك في القرآن أو السنة ؟

فيقال : بل ورد ما ذكرنا لك من النصوص ، وغيرها مما لم نذكره ، ما يقرر معتقد أهل السنة في هذه المسألة ، وكون النصوص لم تذكر شيئاً عن مصيرهم بعد الأحقاب ، يدل على ما ذكرنا من أنها أحقاب لا تنتهي ، ولا تقطع ، أعاذنا الله وإياك من ذلك.

وليس فيما ذكر تعارض مع عدل الله ورحمته ، بل هذا هو مقتضى عدله وحكمته ، كما قال سبحانه : (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور. وهم يصطرون فيها ربنا أخرجا نعمل صالح غير الذي كنا نعمل أو لم نعملكم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا بما للظالمين من نصير) فاطر/36،37.

وقال جل وعلا : (إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون. لا يفتر عنهم وهو فيه مبلسون. وما ظلمناهم ولكن هم الظالمون . ونادوا يا مالك ليقضى علينا ربكم قال إنكم ماكثون . لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون) الزخرف/74-78.

وقال سبحانه : (أفجعل المسلمين كال مجرمين . مالكم كيف تحكمون) القلم/34,35

وقال : (ألم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون. وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهو لا يظلمون) الجاثية/22,21

وقال : (إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميض وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) يونس/4.

ومن تدبر هذه الآيات المباركات أیقن أن الله حكيم علیم رحيم لا يظلم الناس مثقال ذرة ، وما ربک بظلم العبيد.



وهو سبحانه (لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون) الأنبياء/23
والله أعلم.